جسد المرأة بين الأمس واليوم
قراءة انثروبولوجية

سوسن كريمي

هذه الورقة مستمدة أفكارها من بحث للدكتوراه في مجال الأنثروبولوجيا الاجتماعية (تخصص منطقة الشرق الأوسط) والمقدم في كلية الدراسات الشرقية والأفريقية (SOAS) بجامعة لندن وذلك في عام ٢٠٠٣.و تيمة البحث هي دراسة للهويات في البحرين المعاصرة وكيف أن هذه الهويات تشكلت بتفاعل العناصر المحلية و الإقليمية والعالمية. وتلعب المرأة دوراً لا يمكن الاستغناء عنه أو تجاوزه في تشكيل واختلاق و توصيل وإخفاء و استرجاع الهويات، بل إن المرأة تحملت عبء التمثيل المادي والرمزي لمتغيرات و ثوابت الثقافة التقليدية والعصرية كما يطرحها البحث. وفي ظل هذا فإن هذه الورقة هي عبارة عن محاولة لإلقاء الضوء على بعض التغيرات والتحولات التي حدثت في فترات زمنية محددة من تاريخ البحرين الحديث بدئاً من عشرينيات القرن العشرين والتعرف على هذه التغيرات باتخاذ المرأة وجسدها كوسيط medium لاكتساب المعرفة.

لكن قبل البدء في الموضوع نحن بحاجة لطرح سؤالين لتتضح الصورة الكلية:
السؤال الأول: لماذا تم اختيار جسد المرأة كوسيلة بحث وليس جسد الرجل؟
والسؤال الثاني: لماذا البحث من خلال الجسد وليس بالطرق التقليدية؟

بالنسبة للسؤال الأول: من الممكن قراءة هذه التغيرات من خلال جسد الذكر والأنثى على حد سواء حتى بغض النظر عن مراحلهم العمرية، مع الأخذ بعين الاعتبار أن دلالات جسد الشباب أكثر انعكاسا للصراعات والميول الفكرية والاجتماعية التي تحدث في المجتمع ، لأن الشباب أسرع في تبني وتبديل تلك التيارات والميول. إذ يشير كل من Tapper-Lindisfarne & Ingham إلى أن معاني القوة والرفاهية يتم استعراضها من خلال مظهر الرجل والأنثى، لكن في بعض الأحيان يستعرض الرجل جسده كرمز لقوته ، وفي أحيانٍ أخرى يفوض الرجل نساءه (زوجته، خليلته، بناته....الخ) مسؤولية العرض أو التمثيل. وهو ما أسماه Veblen (1898)، "الاستعراض بالإنابة أو بالتفويض" vicarious ostentation، وهو ما يعني إلقاء عبء المعاني وتمثيلاتها بشكل عام على كاهل المرأة. بحيث يتم اختزال التعبير عن الانتماءات المختلفة (حتى الجغرافية منها) وتمثيلات الوضع الاقتصادي، العقائدي، الأعراف، كرامة الرجل وشرفه كل ذلك يتم اختزله في جسد المرأة، وحتى كرامة الوطن يُعبَّر عنها مجازيا من خلال جسد المرأة، فإذا أُحتل الوطن أو أُغتصب فهو كاغتصاب لجسد المرأة. فلا يُربط وضع الوطن مجازيا بالرجل بقدر ما يربط بالمرأة. فيُعبّر عن هذا التفويض بعبء التمثيل الثقافي والرمزي الذي تحمله المرأة على عاتقها.

وفيما يتعلق بالسؤال الثاني: لماذا البحث من خلال الجسد وليس بالطرق التقليدية؟
فإن المقصود بالطرق التقليدية هو فهم البناء الاجتماعي والثقافي من خلال الاحتكاك المباشر بمصادر جمع البيانات ، فلماذا اللجوء إلى الجسد دون هذه الطرق؟

تجدر الإشارة إلى أن المظهر استخدمه البعض كمرادف للجسد، مع أن هناك اختلافات، وكثير من هذه الاختلافات مشكِّلة ثقافيا. وأُعتُبر اللبس جزءاً من المظهر. المظهر يحمله الجسد، والمظهر له خاصية مطاطية أي بالإمكان توسيعه ليشمل جوانب كثيرة من حياة الإنسان. وهناك دراسات أكدت على ذلك، منها على سبيل المثال دراسة Sharon Naqy (١٩٩٢) لقطر والتي عرضت فيها كيف أن بعض العائلات القطرية تستعرض سلطتها و شبكة علاقاتها القوية في المجتمع عن طريق بناء بيوتها في مساحات جغرافية مخصصة لها. فالبيوت هنا جزء من المظهر الاستعراضي. وبما أن الملابس هي أكثر العناصر الثقافية قربا من الجسد لذا فهي واحدة من أهم الوسائل التي تستنطق الجسد، حيث يحمل الفرد معه ملابسه أينما ذهب. بعكس المنزل الثابت الذي لا يمكن أن يُنقل. وهذا يعني أن الملبس ثري في عملية التواصل البصري visual، و عن طريق

لغة الملبس يمكن فهم الأبنية structures والمعاني والأفكار والهويات. ومن هذا المنطلق يمكن فهم البنية الاجتماعية للمجتمع البحريني عبر تحليل ما يحمله الجسد من تشكيلات، وجزء أساسي من هذا المظهر هو اللباس على الجسد. جسد المرأة؛ إذ هو مرآة يُقرأ من خلالها حال الأمة؛ ولذا يكثر التطرق في هذه الورقة للملابس والمظهر كتعبيرات للجسد.

و في ظل هذا الطرح تجدر الإشارة إلى أن الدراسات السوسيولوجية والأنثروبولوجية حول الجسد دراسات حديثة نسبيا. فأقرب الدراسات الكلاسيكية للجسد في الأنثروبولوجيا كانت تركز على الملابس كجزء من التراث الشعبي ينفصل عن الجسد. أما الدراسات الحديثة في الثقافة المادية sub-discipline of material culture ، فقد طرحت اهتماما كبيرا بالجسد والمظهر عامةً واللباس (dress) خاصة كلغة تواصل وحتى كلغة صراع غير لفظي بين إفراد المجتمع. وإلى جانب هذه الدراسات الثقافية كانت هناك دراسات حديثة ذات طابع فلسفي واجتماعي تاريخي. فهناك بعض الكتابات التي حاولت تحليل معاني الجسد أو لفت الأنظار لأهميته ومدلولاته، بالأخص في الثقافات الغربية. وعلى سبيل المثال كتابات ميشيل فوكو التي لفتت الأنظار إلى أهمية دراسة الجسد "كمقولة اجتماعية" وموضوع لعلاقات القوة والسيطرة. وكذلك بريان ترنر (1992) Bryan Turner الذي طرح فكرة الجسد كمشروع يتغير معناه من مرحلة تاريخية لأخرى. ففي عصر هيمنة الكنيسة (خلال العصور الوسطى) كان الجسد مشروعا للعبور من عالم الماديات إلى عالم الروحانيات، ولن يتسنى للمرء الوصول إلى هذا العالم الروحاني إلا بمحاربة الجسد بوصفه شيئاً دونياً نجساً مرتبطاً بالشهوات والغرائز. أما في عصر الرأسمالية المتقدمة في دول أوروبا الغربية فالجسد "هو المبتدأ والمنتهى" حيث يصبح الجسد مشروعا للمتعة والانغماس في الذات واللذات والتجميل المفرط، و"التكامل الجسدي" (بالمفهوم المادي البحت وحسب معاييره الحديثة)و دليلاً على رفعة الروح ومعبراً إليها. ومن ثم فالعبور يبدأ من الجسد ثم إلى الروح عودة إلى الجسد لكن بصورة جديدة. و إذا كان عصر الكنيسة قد همش الجسد فإن عصر الرأسمالية المتقدمة- حسب تعبير ترنر- بثقافته الاستهلاكية قد تمركز حول الجسد الذي تحول إلى هدف في حد ذاته وبطريقة تصل أحيانا إلى الابتذال.

تكمن أهمية هذا البحث في ثلاث قضايا أساسية. أولاً، تجاوز الوسائل التقليدية في البحث والذي كانت تهتم بالأبنية الاجتماعية بطريقة مبسطة على حساب الوسائط الأخرى المهملة كالجسد، ولغة الحياة اليومية، والمأكل ، وهي الوسائط التي يمكن أن تكون مجالا خصبا لقراءة الواقع الاجتماعي والثقافي. ثانياً، تجاوز النمطية السائدة عن المجتمع البحريني كجزء من مجتمعات الشرق الأوسط التي كانت توصف بالجمود والسلبية. فقد كشفت قراءة التحولات الاجتماعية من خلال جسد المرأة عن أن المجتمع البحريني يتسم بالفعَّالية والتفاعل مع العالم الخارجي. ثالثاً، وهو ما نود التركيز عليه هنا، تجاوز التصورات النمطية السائدة للمرأة والتي كانت تتصورها كائنا سلبيا غير فاعل، إذ كشفت دراسة الجسد عن مدى فاعلية المرأة البحرينية وحضورها في مختلف الميادين. رابعاً، تتضح أهمية دراسة الجسد كآلية للمعرفة عندما ندرك أنه عندما لا تتكلم الهويات فهي تقرأ من خلال المظهر. فالتواصل البصري أو المرئي يحدث قبل التواصل اللفظي. عن طريق النظر نتحدث ونقرأ معاني الانتماءات الاجتماعية والثقافية للهويات. كما قال
Eicher & Roach-Higgnes (1992: 23): “from womb to tome the body is dressed body”.
أي من الرحم إلى اللحد الجسد هو جسد ملبوس. وبالرغم من ذلك فقد تناولت دراسات قليلة موضوع الجسد وما يرتبط به من اللبس والمظهر. و تزداد أهمية هذه الدراسات في الحالات التي يكون فيها استنطاق المعاني أو الأفكار أو الانتماءات سواء كانت أيديولوجية، سياسية، أو دينية محظورة أو يمثل مصدرا للخطر على سلامة الفرد/الجماعة أو حتى على فرص تقبل المحيط للفرد والسماح له بالاندماج. فالملبس ذو طابع مزدوج في علاقته بالهوية، حيث يمكن أن يمثل صمام أمان، يعُبر من خلاله المهمش عن انتماءاته؛ ومع ذلك إذا تعرض المهمش للاتهام أو الاضطهاد في انتمائه، فبإمكانه الادعاء، كإستراتيجية للحماية، بأنه أسيئ قراءته.

وهذا يقودنا إلى القول بأنه كما أن لكل لغة رموزها التي يُتفق على مدلولاتها بين الجماعة التي تتكلم بها، كذلك فللجسد لغة، فهي تُقرأ عندما ينتمي القارئ للجماعة التي تتكلم بها أو يكون على علم بلغة الجماعة.

أي كما أن لكل جماعة لغة يتواصلون بها عن طريق الاتفاق على رموزها ومدلولاتها، فللجسد والمظهر أيضا لغة يستطيع قراءتها من يعرف رموزها ومدلولات تلك الرموز.

أود هنا الإشارة لبعض الجوانب المنهجية، هذه الورقة بما في ذلك النتائج التي سأشير إليها هي نتاج جهد بحثي يسعى إلى استخدام جسد المرأة كوسيط medium للتعرف على بعض السياقات الاجتماعية المختلفة التي عاشها المجتمع البحريني في القرن العشرين.و المراحل التي سأتطرق لها،دون إسهاب ، تمتد ما بين أواخر العقد الثاني إلى العقد التاسع من القرن العشرين، مع الأخذ بعين الاعتبار أن فترة التسعينيات لم تأخذ حقها الوافي من الملاحظة و التحليل بالأخص في علاقتها بموجات الثقافة الاستهلاكية التي اجتاحت مجتمع البحرين.

سعى البحث إلى قراءة التحولات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية للمجتمع البحريني. ويمكن تقسيم هذا الهدف إلى عدة أقسام فرعية. اجتماعياً، يهدف البحث إلى تسليط الضوء على مدى ثراء تنوع البنية الاجتماعية في البحرين. ثقافياً، إلى أي مدى استطاع المجتمع البحريني من خلال الثقافة خلق نسيج مشترك من أساليب الحياة والمعاني وخصوصا في الاستجابة نحو التغيرات الاجتماعية. اقتصادياً، مدى ارتباط تبني الزى الوطني (الهوية القومية) والتخَلي عنه بتحولات الوضع الاقتصادي في البحرين. سياسياً، الأيديولوجيات التي أثرت في الشارع البحريني كالقومية و الناصرية والبعثية والماركسية والليبرالية الغربية، ومدى تحولها من خلال المظهر إلى أدوات للتعبير السياسي على مختلف الأصعدة.

أما الأدوات المستخدمة في جمع البيانات والتحليل في هذا البحث **فقد** اعتمدت على وسائل متنوعة من دراسة الوثائق والصور، إلى دراسة التاريخ المدون بالشكل التقليدي، إلى جانب البحث الاثنوغرافي في البحرين بين ١٩٩٤-١٩٩٨. وتم الاعتماد على مزيج من البيانات الوثائقية، والتاريخية. استخدمت من خلالها أدوات عديدة من المقابلة إلى الاستبيان إلى الملاحظة بالمشاركة، فضلا عن تحليل الصور والوثائق، و زيارات ميدانية لمختلف الجهات الرسمية وغير الرسمية الخ.

هناك عدة قضايا أثارها البحث أود أن اطرحها. أول هذه القضايا يتمثل فى غياب التصوير الفوتوغرافي كتقنية من تقنيات الرصد والتسجيل للواقع الاجتماعي. على الرغم من ندرة الوسائل التكنولوجية وآلات التصوير في تلك الفترة مقارنة بالتقنيات الجبارة الموجودة حاليا، إلا أن الصورة الفوتوغرافية تعد أحد الوسائل الأساسية التي سمحت بتحليل السياق الاجتماعي للفترات الزمنية المرتبطة ببدايات القرن العشرين من تاريخ البحرين الحديث، كما يظهر ذلك جليا من خلال كتاب الصور (٢٠٠٥) لجمعية نهضة فتاة البحرين وكيف أنها وثائق تاريخية تحكي تفاعل المجتمع مع التغيرات المحلية والإقليمية والعالمية، فجمدت هذه الصور بعضاً من معاني تلك الفترات في ذاكرة التاريخ، وحفظت بعض ملامحها. إذ أن الصورة تعكس التغيرات التي مر بها المجتمع البحريني وانعكاس هذه التغيرات على الجسد، أي الجسد كمرآة لقراءة التاريخ.

من استطاع أن يجمد تلك اللحظات (أقصد بذلك من امتلك آلة التصوير ومن قام بالتصوير) يحكي قصة انتماءاته هو أيضا. أي في تلك الفترات طبقات و نخب معينة في المجتمع البحريني استطاعت أن تمتلك آلات التصوير, وهي نخب سياسية, واقتصادية، و اجتماعية، وفي فترات لاحقة ثقافية. كما تثبت الوثائق التاريخية أن أوائل أولئك الذين قاموا بالتصوير في البحرين هم غير بحرينيين. و ذلك أن معظم الصور في تلك الفترة أُخذت من قبل الإدارة الاستعمارية البريطانية ولأهداف مختلفة. تلك الصور تحمل رموز السيادة والاستعباد و تعكس حالة المصِور والمصَور، الإنجليزي بكامل أناقته بالبدلة الغربية وربطة العنق (في مناخ البحرين الخانق والرطب!) والبحريني في ملابس رثة مقارنة بالانجليزي (وإن كان بعض البحرينيين في زى أكابر القوم من منظور البحرينيين أنفسهم). وهذا يعيدنا إلى الصور النمطية الاستشراقية عن الشرقي المتجمد في الأزمنة السحيقة.(انظر صورة للمصمم الفرنسي كارتييه مع بعض أفراد النخبة البحرينية الحاكمة في كتاب جمعية نهضة البحرين٢٠٠٥). فأحد الصور النمطية المرتبطة بالفكر الاستشراقي تتمثل في الأزياء والملابس، بمعنى أن ملابس الشرقيين تحمل دلالات البداوة، والقبلية، والتقليدية، والأصولية الإسلامية. وأقوى معاني

الأصولية الدينية هو حجاب المرأة المسلمة. إن ملابس الشرقيين بشكل عام، واللباس الديني بشكل خاص أُتخذا كأحد الأدلة على جمود الشرق وتخلفه وعدم قدرته على مجاراة ديناميكية المجتمعات الغربية الصناعية. إذ تم تصوير الشرقي في أدبيات الاستشراق كبدوي، محارب، فلاح، رجل قبلي، بربري، سطحي، واعتباطي؛ كل ذلك بحس مسرحي theatrical overtone واصفا إياه كصنف أو نوع أدنى من البشر(Lindisfarne & Ingham 1997: 1).

أما القضية الثانية فتتعلق بغياب المرأة وحضورها وارتباط ذلك بالتعليم. صور النساء خلال العقود الأربعة من القرن العشرين قليلة جدا. بعض الصور الفريدة المتوفرة للنساء، كما أُتيح لي أن أرى بعضها، هي لنساء بحرينيات من أصول غير عربية وبعضهن غير مسلمات. هؤلاء النسوة كن أوائل النساء البحرينيات اللاتي دخلن المدارس واعتقد أن لعلاقتهن الوثيقة بالنساء في الإدارة الاستعمارية دوراً في ذلك، إلى جانب تأثر بعضهن بالنهضة التعليمية في بعض الدول المجاورة، كإيران والعراق، بحكم الانتماء العرقي لبعضهن. فكانت نساء الإدارة الاستعمارية تُمَثِلنَ المرجعية الذوقية في الملابس بالنسبة لهؤلاء النساء البحرينيات (انظر الشكل ١).

(شكل ١)

في فترة الثلاثينيات، مع بدء استخراج النفط، بدأ العامل البحريني الكادح ولأول مرة يلبس لباسا غربيا، والذي اشتهر بين البحرينيين "بالبيلرسوت"، فأصبح المستعمر الغربي ليس فقط يستعمر وطنه بل أيضا يتملّك جسده. بينما ظلت المرأة البحرينية من الطبقات الكادحة والحاكمة مغيبة في الصور. هذا لا يعني غياب دورها في المجتمع بقدر ما يعني تغييب الرجل (الشرقي والغربي) لكينونتها وحتى رفضه توثيق وجودها.

ولكن أهم ما يميز هذه الفترة هو بدء التعليم النظامي (الحكومي) للإناث في البحرين والذي بدأ في نهاية العشرينيات و بداية الثلاثينيات (١٩٢٨)[١]، حيث تم افتتاح أول مدرسة للبنات بعد افتتاح مدرسة للبنين بعقد من الزمن ، والذي أعقب المدرسة الإرسالية الأمريكية بفترة غير قصيرة، بعقدين من الزمن تقريبا.و من المثير أن أوائل الطالبات اللاتي التحقن بالمدارس يحكين قصة انتماءات عائلاتهن. فهؤلاء الطالبات كن ينتمين لطبقة اجتماعية متميزة ومن سكان المدينة، بينما كان القرويون من أشد المعارضين لتعليم الفتاة في المدارس.

[١]- قامت جمعية نهضة فتاة البحرين مشكورة بتوفير الصور الفوتوغرافية من أرشيفها الخاص.

وهذا لا يعني أن سكان المدينة احتضنوا تعليم الإناث، بل إن بعضهم، كما قيل لي في البحث الميداني، كان يرى أن تعليم النساء مسألة منافية للأخلاق والدين على أساس أن الفتيات إذا تعلمن الكتابة سيكتبن رسائل غرامية للأولاد. الفتيات في تلك الفترة التحقن بالمدارس في عباءاتهن السوداء (التي تُعرف محليا بالدفة) وخمار الوجه (الغشوة).

القضية الثالثة تتعلق بالحركات القومية وتأثيرها على تحرر المرأة. بدأ حضور النساء في الازدياد منذ الخمسينيات وذلك لعدة أسباب أولها ازدياد عدد المتخرجات من المدارس وازدياد عدد المقيدات في المدارس، إلى جانب قيام الحركات القومية والأيديولوجية الأخرى، كالشيوعية، والتي كان لها الجاذبية من قبل النخب الثقافية والاجتماعية والعرقية في البحرين. وقد عكست قراءة هذه التغيرات على جسد النساء في هذه الفترات بعض التحولات الفكرية والسياسية والاجتماعية التي مر بها المجتمع البحريني تحت تأثير الأحداث في الوطن العربي والعالم بشكل أوسع. فالقومية العربية، بتعبيرها الناصري الاشتراكي (أنظر شكل ٣)، كانت أحد أقوى التيارات الفكرية التي اجتاحت الساحة البحرينية. و في تلك الفترة وصل عدد قليل من البحرينيات إلى القاهرة وبيروت للدراسة، كان لباسهن نسخة من ملابس المرأة المصرية المتعلمة "المتحررة". فلبسن التنورات القصيرة التي باتت تزداد قصرا مع تقدم العقود إلى أن توقف القصر في طول التنورة وتراجع مع بداية الثمانينيات. وفي الفترة من الخمسينيات إلى السبعينيات تحولت العباءة إلى رمز للرجعية، وقد رآها البعض كأحد أسباب تخلف الشرق لما يحمل من دلالات على الفصل والعزل والتحجيب. ومن هذا المنظور أصبح تحرير الأمة جسديا وفكريا يكتسب بتحرير جسد المرأة من علائق الماضي.

(شكل٢)

(شكل ٣)

(شكل ٤)

مع انحسار شعبية الحركات القومية بعد نكسة ١٩٦٧ تحول الكثير من القوميين إلى الشيوعية، التي هي أكثر ليبرالية من القومية فتسمح بمساحات من التحرر للنساء بدرجات أكثر. لذلك يشكّل مظهر النساء البحريني في الستينيات وفترة السبعينيات قياسا على الحاضر ثورة على الأعراف و المفاهيم المحلية للحشمة والحجاب. كان الرجال الشيوعيون يُعرفون أيضا من شواربهم الغليظة ذات النهايات المنحنية للأسفل.

القضية الرابعة تتعلق بتناقضات التغريب. كان للحركات الليبرالية الغربية والثقافة الغربية بشكل عام صدى كبير في البحرين أيضا، ففي فترة السبعينيات بدأ عدد من الطلبة البحرينيين التوجه للغرب للدراسة، ويمكن قراءة تلك الفترة في تبني البحرينيين المتخرجين من الجامعات الغربية للبذلة والكرافتة في أماكن العمل، للدلالة على تعليمهم الغربي، بينما انتشرت بين المراهقين والشباب موضات المغنيين الغربيين مثل فرقة بيتلز، بشعورهم الطويلة والقمصان الضيقة والبنطلونات الضيقة حول الخصر والواسعة حول الأقدام المعروفة بـ (Charleston). ظاهرة أخرى ميزت فترة السبعينيات وذكرتها منيرة فخرو في كتابها ١٩٩٠ Women at Work in the Gulf. و هي نتيجة لازدياد عوائد النفط في الخليج وارتفاع عدد العمالة الوافدة، عاد الخليجيون ومعهم البحرينيون، إلى لبس الثوب والغترة لتمييزهم عن العمالة الوافدة وكتعبير عن اعتزازهم بانتمائهم الخليجي، فأصبح الثوب رمزاً للأفضلية والتعالي الخليجي. هذا الحس تزايد مع اندلاع الحرب العراقية الإيرانية وما تبعه من نشأة مجلس التعاون الخليجي في ١٩٨١.

القضية الخامسة تتعلق بالصحوة الإسلامية وأثرها على الحجاب. في نهاية السبعينيات وبداية الثمانينيات بدأت الملابس تتغير بشكل جذري معبرة عن حال التغير في مجتمعات الشرق الأوسط، بدت تلك الفترة تعرف بالصحوة الإسلامية والتي كانت أحد أسبابها الثورة الإسلامية في إيران وما سبقها من تأثَر بجماعة الإخوان المسلمين المصرية. تميزت تلك الفترة والتي مازلنا نعيش آثارها بعودة قوية للبس الحجاب بين النساء، أو يمكن القول أن مصطلح الحجاب اكتسب شهرة في تلك الفترة. أما بين الرجال فتمثل المظهر الإسلامي في إطلاق اللحى واللبس الديني بتعبيراته الطائفية والسياسية المختلفة. فأصبح بالإمكان معرفة الانتماءات الطائفية والو لاءات السياسية وحتى التبعية لشخصيات دينية معينة من خلال ألوان الحجاب، طريقة ربط الحجاب؛ و بين الرجال من ألوان القمصان الداكنة والواسعة التي تترك نهاياته فوق البنطلون ليغطي المنطقة الوسطى من جسد الرجل، وتميزت تلك القمصان بالأيادي الطويلة... الخ من التفاصيل الدقيقة التي من خلالها كان أولئك الذين عُرفوا بالمتدينين والمحيطين بهم يستنطقون هوياتهم ويتصارعون من خلالها في الساحات السياسية والاجتماعية وحتى الاقتصادية.

القضية السادسة تتعلق بالثقافة الاستهلاكية وتحول القيم. أما في منتصف التسعينيات بدا البحريني وكأنه مل الحروب الانتمائية والصراعات الفكرية عبر الأيديولوجيات. ونتيجة للعولمة أو الهيمنة كما يحلو للبعض أن يسميها، والتي وفرت عن طريق مبادئ الرأسمالية قدرة الشراء بالدفع المؤجل إلى جانب إنشاء مجمعات التسويق الضخمة التي لم تشهد مثلها البحرين في تاريخها والتي نافست الأسواق الشعبية، تأثر البحريني، ذكرا وأنثى، بهذه الثقافة الاستهلاكية التي تتسم بطبيعتها الجبرية ولكن سمحت له في نفس الوقت باختلاق هوية مشكَلة على المظهر المادي بدل الانتماءات الدينية والعرقية والجغرافية. وأصبح عدد كبير من الفئات الشابة تتشارك في رؤاها للواقع الاستهلاكي ومتطلباته. فخلقت هذه المجمَعات ساحات اجتماعية يتلاقى فيها البحرينيون باختلاف انتماءاتهم ويتبادلون معاني التشكيلات الاجتماعية .

يمكن القول إن أكثر الملابس التي ميزت هذه الفترة هي ابتكار ما اشتهر ب "العباية" أو كما تسميه البنات **بـ "عباية كتف"**. هذا الزى بدأ في السعودية وتبنته البحرينيات منذ منتصف التسعينيات وأصبح الآن يلبس لأغراض متنوعة إلى جانب الحشمة الدينية، كالحرية التي تمنح المرأة في عدم التقيد بآخر الموضات (مع إن للعبايات موضات قصيرة العمر لكنها تظل أقل تكلفة من تغيير الملابس بشكل يومي)، والحماية من تحرشات الشباب، إلى جانب إن عدداً كبيراً من البنات، خاصة القرويات، استطعن الموازنة بين شروط الأهل في الدخول إلى الجامعة بالالتزام باللبس الديني وبين رغباتهن في أن يُظهرن بمظهر يتوافق مع جيلهن ومزاجه.

هذا الموضوع غني ولا يمكن أن نستوفيه حقه في عجالة، لكننا مقيدون بالمساحة المتاحة للورقة. ففي الخلاصة بعد هذا العرض الموجز نرى كيف إن للجسد لغة غنية نتواصل ونتصارع من خلالها، وهنا يبين لنا –كما سبق أن أشرت - مدى أهمية الحصول على المعرفة بوسائل غير تقليدية. تطرقت الورقة إلى أهمية دور المرأة في حمل عبأ النقل و التجديد والإبداع في الثقافة بعوالمها المتعددة والمتضاربة أحيانا كثيرة. فتطرق البحث إلى السرد المجازي للتاريخ البحريني الحديث عبر جسد المرأة.

References:

1- Karimi, Sawsan 2003 *Dress and Identity: Culture and Modernity in Bahrain.* PhD thesis. School of Oriental and African studies, University of London.

2- Lindisfarne-Tapper, Nancy and Ingham, Bruce 1997 *The Language of Dress in the Middle East.* Surry: Curzon.

3- Nagy, Sharon 1998 'Social Diversity and Changes in House Forms and Appearance in Qatar', *Visual Anthropology* 10 (3-4): 281-304.

4- Turner, B. 1996 *The Body and Society: Explorations in Social Theory*. London: Sage.

5- Eicher, Joanne B. and Roach-Higgins 1992 'Definition and Classification of Dress: Implications for Analysis of Gender Roles' in Ruth Barnes and Joanne B. Eicher (eds), *Dress and Gender: Making and Meaning*, pp.8-28. Oxford: Berg.

6- Foucault, Michel 1984 *The History of Sexuality.* Foucault, Michel

٧- جمعية نهضة فتاة البحرين ٢٠٠٥ *خمسون عام من العطاء الصور امرأة.*
وزارة الإعلام: مملكة البحرين.